

كلمة الحياة

تشرين الأول/ أكتوبر 2026

"لا تَظْلِمِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَاقِقْهُ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ" (خروج 22: 20).

كلمة حياة هذا الشهر مأخوذة من سفر الخروج الذي يروي الظروف الآخذة في التدهور لبني إسرائيل في مصر. لقد كانوا مُضطهدين ومُستعبدين، فصرخوا إلى السماء طالبين العون. هذا الصراخ بلغ قلب الله، فقرر أن يتدخل واختار موسى ليكون رسوله. وبعد التحرير، أُقيمت المراسم التي ختمت العهد بين الله وإسرائيل. الوثيقة التي تعكس هذه العلاقة هي ما يُعرف بـ"شريعة العهد"¹ التي قبلها الشعب بأسره²، وأشهر أجزائها الوصايا العشر. وقد أُضيفت إليها أحكام وقوانين أخرى متنوعة، مرتبطة جميعها بحدث التحرير الاستثنائي. والآية الخاصة بهذا الشهر مأخوذة من هذا التراث من القواعد الحياتية والسلوكية.

"لا تَظْلِمِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَاقِقْهُ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ".

يُعدُّ الغريب من الفئات التي يفضّلها الله ويحميها، لأنه من بين الأكثر هشاشة وضعفاً إلى جانب الفقير واليتيم والأرملة. إن سبب هذه القاعدة يعود، أولاً وقبل كل شيء، إلى استحضر ذكرى ما عاشه الشعب في العبودية في مصر.

إن تدخل الله القوي في حدث الخروج من مصر يُذكر مراراً في العهد القديم. إنه حدثٌ يجبُ على الشعب أن يبقّيه حاضراً في ذاكرته دائماً، باعتباره أمراً يتكرّر باستمرار، بطرقٍ مختلفة، في كلّ جيل. ومن العبارات اللافتة ما قاله أوريجانوس في تفسيره لسفر الخروج: "إنّ من يضطهد الغريب يدلّ على أنّه لم يغادر مصر بعد"³.

هذه الوصية تدعو أيضاً إلى التعاطف، أي إلى وضع أنفسنا مكان الآخرين، ما يساعدنا على فهمهم وإدراك احتياجاتهم. إنّ الذين مرّوا بتجربة صعبة يُفترض أن يكونوا أكثر قدرةً على فهم ألم الآخرين والتعاطف.

¹ خروج 20-23.

² راجع خروج 24.

³ أوريجانوس، عظمت في سفر الخروج V,5 Origene, Homiliae in Exodum.

معهم. لكن الأمر في العهد القديم لا يقتصر على مجرد تجربة إنسانية فحسب، فأول من أعطى مثالاً لما يعنيه أن يضع المرء نفسه مكان الآخرين هو الله نفسه.

"لا تظلم الغريب ولا تضايقه، فأنتم كنتم غرباء في أرض مصر".

كيف نطبق عملياً كلمة الحياة هذه؟ قد يكون من المفيد أن نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة: هل اختبرت يوماً أن أكون غريباً؟ هل شعرت بأنني غير مقبول، أو غير مرحّب بي، أو أنّ لا أحد يفهمني، أو أنني في غير مكاني؟ ماذا تعلّمت من هذه المواقف؟ مَنْ هو الغريب بالنسبة إليّ؟ مَنْ هو الغريب بالنسبة إلى الله؟ كيف يمكنني أن أستقبله من دون تحفظ، تماماً كما يفعل الربُّ معنا؟ ماذا يمكنني أن أفعل بشكل ملموس؟

كُتِبَت كيارا لوبيك: "مع إله لا يميّز بين الأشخاص، كيف لا نضع في قلبنا الأخوة الشاملة؟ وبما أننا أبناء الأب الواحد، يمكننا أن نكتشف أننا إخوة وأخوات لكل رجل وامرأة نلتقي بهم. فإذا كنّا جميعاً إخوة وأخوات، فعلينا أن نحبّ الجميع، بدءاً بمن هم بقربنا، ومن دون توقّف. عندئذ لن يكون حبنا أفلاطونياً أو مجرداً، بل حباً ملموساً، يتجسّد في الخدمة. حباً قادراً على الذهاب نحو الآخر، وفتح حوار معه، وتفهم أوضاعه الصعبة، وحمل أثقاله وهمومه، إلى أن يشعر الآخر بأنه مفهوم ومقبول في اختلافه، وبأنه حرٌّ في التعبير عن كلّ الغنى الذي يحمله في داخله"⁴.

هذه هي أيضاً خبرة مريم، وهي شابة باكستانية.

"في أحد المقاهي، رأيتُ صاحبه يرفض تقديم الشاي لسيدة مُسنّة. لم يكن في جيبِي سوى بضعة روبيات (العملة المحليّة)، لكنني شعرتُ بأنّ عليّ مساعدتها، فاقتربتُ من صاحب المقهى وعرضتُ عليه أن أدفع أنا ثمن الشاي. في البداية نظر إليّ متردداً. ثم، بعد لحظة من الصمت، ابتسم وقال: 'لا، هذا ليس عدلاً. إذا كنتِ أنتِ، كزبونة، مستعدّة لإنفاق القليل الذي لديك للاعتناء بها، فكّم بالحرّيّ ينبغي عليّ أنا، صاحب المحلّ، أن أكون كريماً؟ من الأسهل بالنسبة إليّ أن أقدم لها كوباً من الشاي مجاناً بدلاً من أن أجعلك تدفعين ثمنه'. لقد كان ذلك اختباراً قوياً مؤثراً. فعندما حاولتُ أن أظهر المحبّة، أولاً للسيدة ثم لصاحب المقهى، رأيتُ كيف يمكنُ لبادرة بسيطة من اللطف أن تفتح قلب الشخص الآخر".

إعداد أوغستو بارودي رئيس لجنة كلمة الحياة